مصنّفات غیاث‌الدین منصور حسینی دشتکی شیرازی

(۱۹)

الشوارق

به اهتمام

عبدالّله نورانی

<١٩>

الشوارق

تأليف
غياث‌الدّين منصور حسينى دشتكى شيرازى

بسم‌الله الرّحمن الرحيم

[فصلٌ]

[السماء و العالم]

بَعد الحمد و الثّناء، و الصّلاة و الدّعاء، أيقول الفقير الحقير المشهور بمنصور: هذه نُبَذٌ من نكت مسائل كتاب السّماء و العالم من الشّوارق. و لقد قرّرنا و حرّرنا براهين مسائل هذا الكتاب بالوجه الوجيه المستطاب فى ثالث أركان رياض الرّضوان. و الآنَ نُعرِضُ عن التّعرُّض لها. ولكن لابأسَ بأن نُشيرِ إشارةً مّا إلىٰ فوائد بديعة و فرائد جيّدة جديدة فى مسائل مهمّة معروفة، ينتفعُ بها فى مطالب شتّىٰ. و لنُرتّب المقاصد فى مطلب.

المطلبُ الاوّل

[العناصر والأفلاک كريّة الأشكال]

قيل: كلُّ جسم إذا خُلّيَ و طبعهُ كُريُّ الشّكل فالعناصر بجُملتها. والأجرامُ الأثيريّةُ كريّةُ الأشكال، إلاّ أن الأرضَ لقبولها التّشكّلات القسريّة وقعت فى سطحها تضاريسُ لأسباب خارجة، كما يُشاهَدُ من الجبال والوهاد. ولكن هٰذه التّضاريسُ لا تقدحُ فى كونها كُريّة الشّكل، كالبيضة، لو الزقت بها حبّاتُ شعير لم يقدح ذلک فى شكل جملتها. و كذا الماءُ كرىٌ إلاّ أنّه ليس بتامّ الاستدارة، لأنه خرج من سطحه ما ارتفع من الأرض. و كذا الهواءُ كرىٌّ، إلاّ أنّ سطحه

المعقّرَ المُماسّ بسطحی الماء و الأرض مُضرّس أیضاً. فالنّارُ کریُّ الّشکل، صحیحُ الاستدارة تحدیباً و تعقیراً علی الرّأی الأصحّ.

و الأفلاکُ کُرَیةُ الشّکل صحیحةُ الاستدارة تحدیباً و تعقیراً، و هذه الکراتُ محیطةٌ بعضُها بالبعض. فالأرض ساکنةٌ فی‌الوسط، و فوقها الماءُ، ثمّ الهواءُ، ثم النّار، ثمّ فلکُ القمر، ثمّ فلکُ عطارد، ثمّ فلک الزّهرة، ثمّ فلکُ الشّمس، ثمّ فلکُ المرّیخ، ثمّ فلکُ المشتری، ثم زحل، ثم فلکُ الثّوابت، ثمّ فلک، الأفلاک، و هو الفلُک الأطلس الأعظم، المحدّد لکلّ. هذا ما قیل فی المطلب، و فیه مقاصدُ و أبحاثٌ.

[المقصدُ الأوّلُ]

فی کیفیّة لزوم الکرویّة ممّا تقدّم

والحقّ الصّوابُ أنّه غیرُ لازم، و إنّما لزم‌لو لزم الکرویّةُ علیٰ تقدیر الخلو، لاالکرویّة فی الواقع، و فیه الکلامُ

وصلٌ

قیل: قیدُ العناصر بجملتها، أی بکلیّتها، إشارةٌ إلیٰ أنّ المطلوبَ کونُها کرّیةً کذلک، لا للاحتراز عن أجزائها المنفصلة عنها.

قیل: هذا ردٌّ علیٰ من قال بخلافه بأنّ الأجزاء المنفصلة أیضاً لو خُلّیت و طباعَها کانت کریَةَ الأشکا، علیٰ أنّها قِطعٌ للکرة، الّتی مرکزُها مرکزُ العالم.

أقولُ هٰذا لرَدٌّ مردودٌ، فإنّ الأجزاء المنفصلة إذا کانت قِطعَ کرةٍ لم تکن کرةً، ضرورةً. فکان الاحترازُ عنها موجّها مناسباً، و ردّه بهٰذا الوجه مردوداً غیرُ مناسب و لا موجّه. علیٰ أنّ فی قوله: «علیٰ أنّها قِطَعُ کرة» بحثٌ ستعرفُهُ. فظهر أنّ توجیهَ هذا القائل غیرُ موجّه (٥٥).

و یمکنُ أن یوجّه بوجهین آخرین: أحدُهما أن یقالَ: إنّ الأجزاء المنفصلة أیضاً کراتٌ. إلاّ أنّه یردُ علیٰ هٰذا التّوجیه إشکالٌ، هو أنّه فی ما سیأتی یلزمُ التزامُ علاقة فی بعض الصّور، و یلتزمُ فیه إن أمکن تصحیحه بوجه.

و تایهما أن یُقالَ: الغرضُ من هٰذا التّبیین بیانُ ما هو المطلوبُ فی الفنّ، و هو کریَةُ الشّکل بکلیّتها، و لا یعرضُ إلی الأجزاء أصلاً، فلا تحترز، و إن کان الاحترازُ صحیحاً، بناءً علیٰ أنّ الأجزاء إذا خُلّیت و طبائعَها اتّصلت بکُلّیتها، فلا تبقیٰ أجزاءٌ. فالجزء حال کونه جزءاً لم

يُتصوّر خُلوّهُ بطبيعته.

و لا يذهبُ عليكَ أنّ فى هٰذا التّوجيه أيضاً بحثُ، بل أبحاثٌ. و يمكنُ أن يوجّه بوجه آخر. و أقول من رأس: خلاصةُ الكلام فى المرام أنّ محصّل ما قيل أنّ العناصر و الأجرام الأثيريّة بسيطة، و كلُّ بسيط إذا خُلّي و طبعهُ كريٌّ، فالعناصرُ بجملتها و الأجرامُ اثيريّةُ كريّةٌ.

و يزدُ على هٰذا ايرادٌ ظاهرٌ، هو أنّ قوله «بجملتها» كأنّه لغوٌ. و ما قيل، من أنّه لبيان الحال أو للاحتراز، حشوٌ، بل الأولىٰ فى جواب هذا ما أشرتُ إليه أوّلاً فى الوجوه.

ثم الأظهرُ الأدقّ ما رمزتُ إليه ثانياً، و أُصرّحُ به، فأقولُ: إنّ أجزاء العناصر إذا خُلّيت و طباعَها ولم يكن لها مانعٌ لتناسبت و صارت جملةً و كلّيّةً. فا للّازمُ مّما ذكر كرويّةُ كلّ، لاكلّ جزء. فتنبّه لهذا؛ فإنّه مع وضوحه لايخلو عن دقّة مّا.

[المقصدُ الثانى]

فى بيان طبقات العناصر

قيل: الرّأيُ الصّحيحُ فى النّار أنّه عنصرٌ برأسه. و هو رأيُ المشّائين و جمهور التأخّرين. و محدّبُ النّار صحيحُ الاستدارة، لتماسّه مُعقّر الفلک، و صحّةُ استدارة مقعرّها؛ لأنّها قويّةٌ علىٰ إحالة ما يصلُ إليها من الأدخنة إلىٰ نفسها. فعلىٰ هٰذا يكونُ مُحدّبُ الهواء أيضاً مستديراً.

و أمّا علىٰ الرأى الرّواقيّين و أبى إسحاق الكنديّ و أبى ريحان البيرونيّ و صاحب الإشراق من التأخّرين أنّها تتكوّنُ من الهواء بواسطة حركته التّابعة لحركة الفلک. فهى كرةٌ تامّةٌ، سطحها المحدّبُ صحيحُ الاستدارة، والمقعرُ إهليلجيُّ الشّكل إن تكونّت فى مُحاذاة جميع أجزاء الفلک.

و إنّما قلنا: «المُقعرُ إهليليجيّ»، لأنّها تتكوّنُ عند المنطقة أكثير، لسرعة الحركة، و تتدّرجُ فى القلّة إلى القُطبين و إن لم تتكوّن فى محاذاة جميع الأجزاء، بل تكوّنت فى مُحاذاة المنطقة مُتدرّجةً فى القلّة إلىٰ أن تنفدَ قبل الوصول إلى القطبين. فهى كرةٌ غيرُ تامّة، مُحدّبُها مستديرٌ غيرُ تامّ و مُقعَرها إهليلجيّ كذلک. و أمّا مُحدّبُ الهواء فعلىٰ كلا التّقديرين إهليلجيّ تامّ أو شبيهٌ به و استُضعِفَ هٰذا الرأىُ. لحدوث الشُّهبُ و النّيازک عندَ القُطبين، كحدوثها عندالمنطقة. و لا يخفىٰ عليک أنّه لا تقومُ حجّةٌ علىٰ من يقول بحدوث النّار فى جميع الأقطار.

و اعلم أنّ انحصار العنانصر فى الأربعة مستفادٌ من ازدواجات (٥١) الكيفيّات الفعليّة و الانفعاليّة علىٰ ما ذكر فى اطبيعًى. لكنّ التّعويل على الامستقراء.

و هى سبعُ طبقات فى المشهور عندَ الجمهور، كالأفلاک، طبقةُ الأرض الصّرفة المحيطة بالمركز، ثمّ الطبقةُ الطينيّة، ثمّ طبقةُ الأرض المخالطة الّتى يتكوّن منها االمعادنُ و كثيرٌ من النّباتات و الحيوانات، ثمّ طبقةُ الماء، ثمّ طبقةُ الهواء المجاور للأرض والماء ثمّ طبقةُ الزّمهرير البادة بسبب المخالطة من الهواء من الأبخرة و عدم ارتقاء انعكاس الأشعّة إليها، و هى منشأ السُّحُب و الرّعد و البرق و الصّاعقة ثمّ طبقةُ الهواء الغالب الغريب من الخلوص ثمّ الطّبقةُ الدّخانيّةُ الّتى تتلاشىٰ فيها الأدخنةُ المرتفعةُ من السّفل، و تتكون فيها النّيازکُ و ذواتُ الأذناب و ما أشبهها من الأعمدة و نحوها. و ربما توجدُ متحرّكةً بحركة الفلک تشييعاً له. ثمّ طبقة النّار.

و منهم من قسم الهواء، باعتبار مخالطة الأبخرة و عدمها بقسمين. أحدهُما الهواء اللّطيف الصّافى من الأبخرة، لأنّها تنتهى فى ارتفاعها إلىٰ حدّ لا يجاوزه، و هو قريبٌ من سبعة عشر فرسخاً. و ثانيهما الهواء الكثيف المخلوط بالأبخرة، و تُسمّىٰ كرةَ البُخار و عالم النّسيم و كرةالّيل والنّهار؛ إذ هى مهبُّ الرّياح و القابلةُ للّظلمة و النّور، و الزّرقة الّتى يظنُّ أنّها لونُ السّماء إنّما يتخيّل فيها. و بهٰذا الاعتبار يمكن أن توجهد الطبقاتُ سبعاً، كالسّماوات.

أقول: فى قوله: «لأنّها قويّةٌ علىٰ إحالتها يصل إليها من الأدخنة» و هو أنّ هذا لا يوجُب الكرويّة، لجواز أن يصل و يستحيل بعضُ الاستحالة و يتّصال اتّصالَ الجبال بالأرض.

و أمّا قوله: «إنّما تتكوّنُ من الهواء بواسطة حركته التّابعة لحركة المُحيط»

قيل: قال شارح المقاصد: «لا يخفىٰ أنّ حركةَ المحيط لاتوجُب حركة المُحاط عندَ اتّحاد المركز. لكن قد يتحرّک بتبعيتّه لأسباب خارجة. و قدر بستدلّ بما يُشاهدُ من حركات الشّهب و ذوات الأذناب علىٰ نهج حركة الفلک علىٰ انّ كرةَ النّار تتحرّکُ بحركة الفلک. و إنّما لم يتحرّک تبعاً للنّار، و لأنّه لرطوبته لا يلزمُ جرمَ المحيط». انتهىٰ كلام شارح المقاصد.

و فيه نظرٌ: إذ لو تمّ هٰذا لزم أن يتحرک الهواء بمتابعة الفلک أيضاً فى أوّل الأمر. وأيضاً سكون الهواء مُحالٌ. كيف و صرّح المحققُ فى التّجريد و التّذكرة: «أنّ الأثيرَ يتحرّکُ بحركة الفلک».

أقولُ: نظره هٰذا من بصيرة عمياء. و اللّزومُ الّذى ذكره كبطلان اللّازم عليلٌ. و ليس فى شىء من التّجريد و التّذكرة تصريح بحركة الهواء. والأثيرُ الّذى حكم بحركة هوالنّارُ، لاالهواء.

لا يُقالُ: ربما يُوجَدُ ذاتُ الأذناب متحرّكة بحركة الفلک، و هى فى الهواء. فالهواء يتحرّک أيضاً، تبعاً. لأنّا لانسلّمُ استلزامَ ذلک لحركة الهواء. و لم لا يجوزُ أن تكونَ حركتُها لاتّصال طرف منها لكرة النّار، و إن كانت فى الهواء، فافهم هٰذا و لا تتّبع الهوى.